سومر

مجلة علمية تبحث في آثار العراق وتاريخه

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
مديرية الآثار العامة
بغداد

الجزء الاول والثاني — ١٩٦٧ م — المجلد الثالث والعشرون

ثبت الجزء

الصفحة

أ	تقديم	الدكتور فيصل الوائلي
٣	اصنام العرب	الدكتور جواد علي
٤٧	المدائن في المصادر العربية	الدكتور صالح احمد العلي
٦٧	التأثيرات الفنية الاسلامية العربية على الفنون الاوربية	الدكتور أحمد فكري
٩٥	من أدب العراق القديم	الدكتور فيصل الوائلي
١٠١	آلهة فوق الارض (دراسة مقارنة)	الدكتور تقي الدباغ
١٣٥	نينوى في ضوء التنقيبات الاثرية	الدكتور طارق مظلوم
١٤١	الآثار الجديدة التي حازها المتحف العراقي	الدكتور فرج بصمه جي
١٤٥	دراسة بعض التحف المعدنية الاسلامية في المتحف العراقي	الدكتور عبدالعزيز حميد
١٥١	خط المصحف الشريف	عباس العزاوي
١٥٧	أوبس .. أين تقع ؟	فؤاد جميل
١٧٧	الاسم القديم لتل الضباعي	الدكتور فوزي رشيد
١٨٣	الصيانة الاثرية في قصر العاشق	ربيع القيسي
١٩١	دراسة تحليلية لثلاث مسكوكات ذهب نادرة في المتحف العراقي	الدكتور محمد باقر الحسيني
٢٠١	الدرهم العباسي في زمن الخليفتين الامين والمأمون	وداد القزاز
٢١٥	دراسة تحليلية للعملة الاسلامية في العهد الايلخاني	مهاب درويش البكري
٢٢٣	دراسة جديدة لكتابات الموصل الاثرية	يوسف ذنون
٢٣٩	تطور الحضارة	سعدي الرويشدي

الانباء والمراسلات

منجزات وفعاليات مديرية الآثار العامة في العراق
نبذ احصائية وأنباء أخرى .

المدائن
في المصادر العربية

بقلم : الدكتور صالح أحمد العلي
عميد معهد الدراسات الاسلامية العليا

يهدف هذا المقال تنظيم ما هو متوفر في الكتب العربية من معلومات عن المدائن ، سواء كانت هذه المعلومات تخص العهود السابقة للاسلام ، او الفترات التي تلت الفتح الاسلامي • ومن المعلوم ان الامبرطورية الساسانية اتخذت المدائن عاصمة ومقرا للحكم ، وظلت تحكم زهاء ثلاثة قرون كانت خلالها من أقوى دول العالم ، ووصل ازدهار العراق الماذي ابانها حدا بعيدا من التقدم ، ولكنها لم تخلف الا نزرا يسيرا من الآثار المكتوبة المعاصرة لفترة حكمها ، وان الآثار التي خلفتها لاتكفي بأي حال لاعطاء صورة واضحة عن أوضاع الامبراطورية واحوال عاصمتها ، كما ان الحفريات التي قامت بها البعثات الاثرية في طيسفون كانت مقصورة على نقاط محددة ولم تكشف عن كتابات كثيرة او اثار توضح معالم هذه المدينة •

غير ان المسلمين عندما استولوا على كافة الامبراطورية الساسانية عاملوا أهلها بكثير من التسامح مما ساعد على بقاء مخلفاتها الادبية ونشاط المتعصبين لها ، وقد نقل الى العربية كثير من هذا التراث الادبي ، وبذلك حفظت المصادر العربية معلومات غير قليلة عن احوال الدولة الساسانية ونظمها ، حتى انه يمكن القول ان الكتب العربية المؤلفة في العصور الاسلامية فيها اهم المعلومات الاساسية عن الدولة الساسانية ، وكانت هذه المعلومات الموجودة في الكتب العربية هي المصدر الرئيس الذي اعتمد عليه العلماء المحدثون في دراساتهم عن الدولة الساسانية • ولذلك تكتسب المعلومات المتوفرة في الكتب العربية

عن هذ الدولة وعاصمتها اهمية خاصة ، فهي قد حفظت كثيرا من المعلومات التي كانت في مؤلفات العهد الساساني ، كما انها اشارت الى بقايا هـــذه العاصمة في العهد الاسلامي ، هذا فضـــلا عن اشاراتها للاحوال والتطـــورات الجـــديدة التي اعتورت هذه العاصمة بعد الفتح الاسلامي •

ولابد من الاشارة الى ان المصادر العربية لم تحفظ أوصافا ،فصلة شاملة لطوبوغرافية المدائن،وما فيها من خطط وقصور وابنية وعمارات وسكك وما الى ذلك ؛ سواء كان ذلك عن العهد الســـابق للاسلام أو بعده ، وكل ما لدينا مجموعة نصوص متناثرة في كتب التاريخ والأدب ، مذكور معظمها عرضيا خـلال الحديث عـن الاحداث السياسية والوقائع الحربية ، وهي نصوص غير متماسكة او متكاملة ، غير انذكرها عرضايعطيها أهمية خاصة، اذ انه يجعل صفة الصنعة والاختلاق فيها ضعيفة •

ومن المعلـوم ان الكتـاب الرئيسي عـن التاريخ الساساني هو خداى نامه الذي له في العربية وفي العهود الاسلامية عدة ترجمات متباينة ؛ هذا الى ان الكتب الاخرى التي خلفها التراث الساساني قلما تتطرق الى وصف العاصمة • ولذلك فـان معلوماتنا المستمدة من الكتب العربية غـير كاملة ولا متماسكة •

ان العرب بعد استيلائهم على عاصمة الساسانيين لم يخربوها بل ابقوها واتخذوها مقرا لجيشـــهم الى ان اسسوا الكوفة وانتقلوا اليها ؛ وقـد ظلت المدائن بعد ذلك مركزا سكنيا واداريا ، وبقيت فيها كثير من الابنية والاثار القديمة ، ولـــكن اهميتها تضاءلت على ممر الايام ، وقد قدم بعض الجغرافيين والبلدانيين العرب وصفا واقعيا لاحوالها في العصور الاسلامية ؛ كما وصفوا الايوان الذي هو ابـــرز الاثار الباقية فيها •

لذلك لابد من التأكيد على ان هذا المقال قائم عـلى المعلومات المستمدة من الكتب وليس عـلى الحفريات الاثرية ؛ وانه مقتصر على الكتب العربية المؤلفة في العهود الاسلامية دون المصادر الاخرى كالسريانية والعبرية والاغريقية كما انه مقيد بالمادة الموجودة في هذه الكتب ومحاولة نقدها وتنظيمها وعرض صورة قـد تفيد الاثاريين والباحثين في التاريخ •

لقد جلبت المدائن انظار البـــاحثين في العصر الحديث ، فاجريت في بعض اجزائها حفائر كشفت عن امور مهمة ، كما اجريت دراسات غير قليلـة لعل اشهرها دراسات الاب انستاس الـكرملي في مجلة المشرق ، وشتريك في كتابه الذي أصدره عن طيسفون ، وفي كتابه عن الاقاليم البابليـــة القديمة (بالالمانية) وفي مقاله الذي كتبه في دائرة المعارف الاسلامية ؛ وكرستنسن في كتابه (ايران في عهد الساسانيين) (بالفرنسية وترجمته التي قام بهـا يحيى الخشاب الى العربيـة) وجولييني في مجلة (مابين النهرين) والاب حنا فايى في مجلة سومر (بالانكليزية) •

لقد اخذنا بنظر الاعتبار البحوث المذكـــورة اعلاه ، ونحن بقصدنا تقديم صورة مستمدة من الكتب العربية في العصور الاســـلامية الاولى ، اشتركنا في كثير من المعلومات بسبب اشـتراكنا في الاعتماد على نفس المصادر ، غير انني اشـــعر ان الباحثين السابقين ، بالرغم مما في ابحاثهم من مادة

ثمينة غنية وقيمة ، لم يستوعبوا كل المصـــادر العربية ، ولم يصل تحليلهم لها مستوى الكمال او شبهه ، كما انهدفي المخالف لهدفهم ، يجعلمقالي اوثق صلة بالمصادر العربية واهميتها .

لقد تقدم سعد بن ابي وقاص بعد انتصـــاره في معركة القادسية الى المدائن وفتحها بعد حصار قصير انسحب على اثره الساسانيون . وقد اتخذها سعد بعد فتحها قاعدة له « وكـــانت اول جمعة بالعراق جمعت جماعـــة ، بالمـــدائن في صفر سنة ١٦ » (طبري ١/٢٤٤٤) وقد « اقامالمسلمون بالمدائن واختطوها وبنوا المساجد فيهـــا ، ثم ان المسلمين استوخموها واستوبؤها » (فتوح البلدان ص ٢٢٧ عن الهيثم بن عدى) وقد وجدوا فيهـا « وعك البحر وغمه وبعوضه » (طبرى١/٢٦٧٧) و « ان العرب حددهم وكفىالوانهم وخومة المدائن ودجلة » (طبري ١/٢٤٨٣) . ويتبين من هذه النصوص ان المدائن كانت في منطقة يكثر فيها البق ورطوبة الهواء الذي يرجع الى كثرة المياه ، ولا شك ان المقصود بوخومة الهواء هو انتشـــار الملاريا التي ترافق البق وكثرة المياه . ان هـــذه الاوضـاع المناخيـــة والصـــحية كانت واضحـة الاثر على الفتح الاسلامي الذي رافقـــه اهمال الرقابة على شبكات الري مما أدى الى انكســـار بعضها وازدياد الاهوار والبطائح . غير اننا لا نعلم فيما اذاكانت هذه الاوضاع اسـتجدت بعد الفتح الاسلامي او انها كانت قائمة قبله ولكنها توسعت بعد الفتح الاسلامي .

وقد ادرك سعد خطورة اثر هـذه الاحـــوال المناخية والصحية ، بجانبأمور أخرى لم تشر اليها المصادر ، فارتأى ايجاد مقر غيرها للمقاتلة العرب وايده الخليفة عمر بن الخطاب ، ثم استقر الرأي على انشاء الكوفة لتكون قاعدة لجيشه ، فلما انشئت الكوفه « انتقلوا اليهـــا من المـــدائن » (طبرى ١/٢٤١٤/٢٤٨١) .

غير ان العرب لم يجبروا جميعا على الانتقال الى الكوفه فقد « خيرت المسلمين بالمدائن ، فمن اعجبه المقـــام فيها ترك فيها كالمسـلحة ، فبقى اقوام من الافناء واكثـــرهم من عبس » (طبري ١/٢٤٨٧) . وقد اقام بها الحسن بعد مقتل ابيه الخليفة على بن أبيطالب كما سنتحدث فيما بعد.

وكان في المدائن في العهد الاموي « رجال من اشراف اهل المصر وبيوتات الناس ، وبها مقاتلة لا تسعها ، عدة ان كان كون بارض جوخي أو بارض الانبار (طبري ٢/٩٨٠) ، وكانبها سنة ٧٦هـ ألف فارس اخـذ منهم عدى بن عميره خمسمائة لقتال الخـوارج (طبري ٢/٨٩٩) . وكانت المدائن تعتبر « باب الكوفة وحصنهـــا » (طبري ٢/٩٨٢) وهي « باب الكوفة ، ومن اخذ المـدائن كان مـا في يديه من أرض الكـوفة اكثر منها » (طبري ٢/٩٢٩) . ويجب ان نذكر ان الطريق الاعظم من الكوفة الى المشرق كان يمر بالمدائن ؛ وقد كان هذا من العـوامل التي دفعت الخوارج الى مهاجمتها ، فقد هاجمها المســـتورد (طبري ٢/٥٥) كما دخلها الازارقـــة (طبري ٢/٧٥٣ ، ٧٥٧) واستولى عليها فترة من الـزمن شبيب الخارجي (طبري ٢/٨٨٦ ، ٨٩٢ ، ٨٩٦، ٩٤٩) .

وقد ثار فيها ايضا عبيد الله بن الحر (طبري

٧٦٦/٢) ولجأ اليها الجزل بعد هزيمتـــه من الخوارج (طبري ٩١٣/٢) كما مر بها طاهر بن الحسين فيطريق تقدمه لحرب الامين في بغداد (طبري ٨٥٧/٣) •

غير ان صلة المدائن بالشيعة كانت أوثق ، فقد نفي الامام علي عبدالله بن سبأ الى ساباط المدائن (النوبختي : فرق الشيعة ٢٢ ، البغدادي،الفرق بين الفرق ١٨ ؛ وقد مر بها بعض زعمائهم كمعقل بن قيس (طبري ٤٦/٢) وعمرو بن الحمق (١٢٧/٢) والحر(٣٨٩/٢) وعبدالله بن معاوية (١٩٧٦/٢) كما مر بها في العصر العباسي ابراهيم بن الحسن اخو محمد النفس الزكية (١٠٣/٣ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٢) • وكان يقيم فيها سعد بن حذيفة (٢/ ٥٠٢ ، ٥٦٢) ويذكر البلاذري ان جماعة سعد بن حذيفة « هم شيعة بالمدائن وكانوا انتقلوا اليها من الكوفة » (انساب الاشراف ٢٠٩/٥) •

وقد ظهرت في المدائن بعض فرق الغلاة من الشيعة ، فيذكر النوبختي « أصحاب عبدالله بن الحارث يسمون الحارثية ، وكان ابن الحارث هذا من أهل المدائن ، فهم كلهم غلاة يقولون من عرف الامام فليصنع ما شاء » (فرق الشيعة ٢٢) ويقول أيضا « فلما قتل أبو مسلم عبدالله بن معاوية في حبسه افترقت فرقته بعده ثلاث فرق • وقد كان مال الى عبدالله بن معاوية شـــذاذ صنوف الشيعة برجل من أصحابه يقال له عبدالله بن الحارث وكان أبوه زنديقا من أهل المدائن ، فأبرز لاصحاب عبدالله فأدخلهم في الغلو والقول بالتناسخ والاظلة والدور ، وأسند ذلـــك الى جابر بن عبـــدالله الانصاري ثم الى جابر بن يزيد الجعفي فخدعهم بذلك حتى ردهم عن جميع الفرائض والشرائع والسنن ، وادعى ان هذا مذهب جابر بن عبدالله وجابر بن يزيد رحمهما الله ، فانهما قد كانا من ذلك بريئين » (فرق الشيعة ٣٤) •

ويذكر الخطيب البغدادي في ترجمة اسحق بن محمد بن أحمد بن ابان أبو يعقوب النخعي ، نصا رواه عن أبي القـــاسم عبدالواحد بن عـــلى الاسدي جاء فيه « وبالمدائن جماعة من الغـــلاة يعرفون بالاسحاقية ينسبون اليه » ويورد بعد ذلك نصا آخر حولهم من كتاب الرد على الغلاة لابي الحسن النوبختي (٣٧٨/٦ ـ ٣٨١ انظر أيضـــا المنتظم ٢٠/٦) •

ويذكر ياقوت ان المدائن في زمنه « الغالب على أهلها التشيع على مذهب الامامية » (البلـدان ٤٤٧/٤ انظر أيضا القزويني : آثارالبلاد ص٤٥٢)

وكان لليهود عدد كبير في المدائن كما يتجلى ذلك مما رواه ابن الجوزي حيث قال « جاء قوم من أهل المدائن بعـــد العيـد يشكون من يهود بالمدائن وانه كان لهم مسجد يصلى فيه الجماعـة ويكثر فيه التأذين ، وهو الى جانب كنيسة اليهود، فقال بعض اليهود قد آذيتمونا بكثرة الآذان ، فقال المؤذن ما نبالى تأذيتم أم لا ، فتناوشوا وجرت بينهم خصومة استظهر فيهـــا اليهود ، فجاء المسلمون يستنفرون ويستغيثون مما جرى عليهم من اليهود الى صاحب المخزن •• وتقدم أمير المؤمنين بنقض الكنيسة التي بالمدائن وأمر أن تجعل مسجدا •• (المنتظم ٢٧٥/١٠) •

لقـد تحدث بعض البلـــدانيين العرب عن المـــدائن ، والراجح ان أوصافهم لها تنطبق على

حالتها في زمنهم ، فيـــذكر الاصطخري (ص٨٦ طبعة مصر) وابن حوقل (ص ٢٤٤) ان المـدائن « مدينة صغيرة جاهليـــة أزلية كسروية ، آثارها عظيمة ومعالمها قائمة ، وقد نقل عامة أبنيتهـا الى بغداد ، وهي من بغداد على مرحلة، وكانت مسكن الاكاسرة وبها ايوان كسرى » ويضيف الاصطخري « الى يومنا هذا وهو ايوان عظيم معقود » .

ويقول ابن رسته ان المدائن « فيها مسجدان جامعان وأسواق ، وعلى أحد جانبيهـــا مما يلى الشرق قصر بناه الاكاسرة وكان مقامهم فيهـــا ، وفيها الايوان الموصوف ، ومن الجانب الغربي بيت نار يقال ان النفقة عليه تضعف على خراج فارس (ص ١٨٦) .

ويذكر المقدسى ان « من مدن بغـــداد .. المدائن ودرزيجان » (ص ١١٥) وان « المـدائن فهي من نحو واسط عامرة بنـــاؤهم من الآجر والجامع في السوق (١٢٢) .

ويذكر ياقوت عند كلامه عن المدائن « فأما في وقتنا هذا فالمسمى بهذا الاسم بليـــدة شبيهة بالقرية بينها وبين بغداد ستة فراسخ ، وأهلهـــا فلاحون يزرعون ويحصدون ، والغالب على أهلها التشيع على مذهب الامامية ، وبالمدينة الشرقية قرب الايوان قبر سلمان الفارسي وعليه مشهد يزار الى وقتنا هذا » (معجم البلدان ٤/٤٤٧ انظر ايضـا القزويني : اثار البلاد ص ٤٥٢) .

وفي كتب التاريخ اشارات الى بعض خططها . فيبدو من الطبري انه كان للمدائن في العصـــر الاموي سور وباب (٢/٥٧) اما في القرن الثالث فان الطبري يذكر ان ابا الساج تقدم سنة ٢٥١ الى المدائن ثم الى الصياده ، وابتدأ في حفر خندق المدائن وهو خندق كسرى » (٣/١٥٩٩) ويذكر أيضـــا أن « ابن القـواريري كـان مـع أبو الحسين بن هشام موكلين بباب بغداد ومنكجور مفرد بباب ساباط ، وكان بقرب بابه ثلمـة في ســـور المدائن ، فسألت منكجور ان يسدها » (٣/١٦٢٥) .

لا ريب ان تسمية العرب (المدائن) راجع الى انها كانت في الفترة الاولى تشمل عدة مدن ، ولكن المصادر لا تتفق على عدد المدن التي تشملها . فيذكر عن حمزة الاصفهاني ان « اسم المدائـن بالفارســية توسفون ، وعربـــوه على الطيسفون والطيسفونج ، وانما سمتها العرب المدائن لانهـا سبع مدائن ، بين كل مدينة الى الاخرى مسافـة قريبة او بعيدة ، واثارها واسماؤها باقية ، وهي اسفابور، ووه اردشير ، وهنيو شافور ، ودرزنيدان ووه جند يوخسره ، نوينافاد وكرداكاذ » (ياقوت ٤/٤٤٦ ، القزويني : اثار البلاد ٤٥٢) . وهو يذكر أيضا « فعرب اسفابور على اسفانبر ، وعرب وه اردشير على بهرسير ، وعرب هنبو شافور على جنديسابور ، وعرب درزنيدان على درزيجان ، وعرب وه جنديو خسره على روميـــه ، وعرب السادس والسابع على اللفظ » (ياقوت ٤/٤٤٦-٧).

لم نجـد في الـكتب الاخـرى من ذكـــر هنبوشابور ـ جنديسابور التي في المدائن ، ولا الى نوينافاد . اما كرداكاذ فيذكر حمزه عند كلامه عن طهمورث زيباوند « وفي بعض النسخ انه بنى كرديناداد وهي مدينة من مدن المدائن السبع ، وانا اقدر كرداباد التي عليهـــا اندرسو كرداباد

فصحفوا لفظة الاسم » (تاريخ سني ملوك الارض ص ٣١ طبعة بيروت) وهذا نص غامض قد يستخلص المرء منه ان كرداكاذ هي كرداباذ ، وذكـــر البلاذري « عن ابن الكلبي ومشايخ الكوفيين لما فرغ سعد بن أبي وقاص من وقعة القادسية وجه الى المدائن فصـــالح اهل الرومية وبهرسير ثم افتتح المدائن واخذ اسبانبر وكردبنداد عنوة فانزلها جنده» (فتوح ٢٧٤) • ولعل كردبنداد هي التي ذكرها حمزة ، ويدل سياق كلام البلاذري انها كانت تقع في شرق دجلة ، ويقول المطهر بن طاهر المقدسي « وفي كتب العجم ان المدائن بناها هوشنك وسماه كربنداذ ، معمولا وجد ، فكأنه كان بناء قبله ثم درس فبناه زاب الملك ، وهو الذي حفر الزابين ، ثم بناه الاسكندر ، ثم بناه شابور ذو الاكتاف (البدء والتاريخ ٤/٩٨-٩) وهـــو نص غامض يستخلص منه المرء ان كردبنداد اقدم ما في المدائن وانها عند طيسفون (التي ينسب بناؤها الى زاب) •

ولا ريب ان عدم ذكرها في المصادر العربية دليل على اندراسها في زمنهم • ويقول ياقوت ان المدائن « فاولها المدينة العتيقة التي لزاب كمـــا ذكرنا ، ثم مدينة الاسكندر ، ثم طيسفون مـن مدائنها ، ثم اسفانير ، ثم مدينة يقال لها رومية ، فسميت المدائن بذلك ، والله اعلم » (٤/٤٤٦) •

وبمقارنة نص ياقوت هذا الذي لانعلم ممن استقاه ، بالنص الذي رواه عن حمزة يتبين ان ياقوت يذكر ان المدائن تتكون من خمسة مدن ، وليس من سبعة كما يذكر حمزه ، او انه يتفق مع حمزة بذكر اسفانبر ، والرومية • ويعتبر طيسفون مدينة قائمة بذاتها ، في حين ان حمزة يعتبرها اسما يشمل الجميع • ويذكر ياقوت المدينة العتيقـة ومدينة الاسكندر ، ولا يذكر كلا من وه اردشير (بهرسير) درزنيـدان (درزيجان) هنبـــو شابور (جنديسابور) ، نوينـافاد ، كرداكاذ ، غـير انه يذكر في غير هـــذا الموضع بهرسير ودرزيجان وساباط اللائي يقعن غربي دجلة فكأنه قصر المدائن على ما يقع شرقي دجلة •

ويقول اليعقوبي عن المدائن « وهي عدة مدن في جانبى دجلة ، فالجانب الشرقي فيه المدينة التي يقال لها العتيقة ، وفيهـا القصر الابيض القـديم الذي لا يدرون من بناه ، وفيها المسجد الجامع الذي بنـاه المسلمون لما افتتحت ، وفي الجـانب الشرقي أيضا المدينة التي يقال لها اسبانبر وفيها ايوان كســرى العظيم الذي ليس للفرس مثله ارتفاع سمكه ثمانون ذراعا ، وبين المدينتين مقدار ميل ، وفي هذه المدينة كان ينزل سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وبها قبراهما ، ثم تلى هاتين المدينتين مدينة يقال لها الروميه التي يقـال ان الروم بنتها لما غلبت على ملك فارس ، وبها كان أمير المؤمنين المنصور لما قتل أبا مسلم • وما بين هذه المدن الثلاث فتقارب الميلان والثلاثة الاميال • في الجانب الغـربي من دجلة مدينة يقـال لها بهرسير ثم ساباط المدائن على فرسخ من بهرسير » (البلدان ٣٢١) ويتبين من هذا ان المدائن مكونة في رأيه من العتيقـه ، واسبانبر ، والروميـة ، وبهرسير ، وساباط •

اما الخطيب فيذكر ان المدائن « على جانبي دجلة شرقا وغربا ، ودجلة تشق بينهما ، وتسمى

المدينة الشرقية العتيقة وفيها القصر الابيض القديم الذي لا يدري من بناه ، ويتصل بها المدينة التي كانت الملوك تنزلها وفيها الايوان وتعرف باسبانبر، واما المدينةالغربية فتسمى بهرسير ، وكانالاسكندر اجل ملوك الارض بناها .. وهي المدينة التي تسمى الرومية في جانب دجلة الشرقي ، (تاريخ بغداد ١٢٨/١) .

يتبين من هذا النص ان الخطيب يذكر المدينة العتيقة ، واسبانبر ، وبهرسير ومدينة الاسكندر التي يسميها الرومية ، ولا يشير الى بقية المدن .

فاما مدينة الاسكندر فقد لاحظنا ان ياقوت ذكرها من جملة المدائن ولكنه لم يشر اليها في مكان آخر ، واما الخطيب فنصه غامض اذ ربطها ببهرسير التي غربي دجلة والرومية التي شرقيها ، ولكن لا الخطيب ولا ياقوت ولا غيره حدد موضع مدينة الاسكندر او ربطها بسلوقية ، كما لا توجد في المصادر العربية ذكر لسلوقية المدائن مما يدل على اندثارها قبل العهود الاسلامية واختفاء ذكرها.

المدينة العتيقة

لقد ذكرنا ان كلا من اليعقوبي والخطيب يقول « تسمى المدينة الشرقية العتيقة وفيها القصر الابيض القديم الذي لا يدري من بناه (١٢٨/١) وان ياقوت عند كلامه عن مكونات المدائن « فاولها المدينة العتيقة التي لزاب » وهو يميزها عن طيسفون التي يعتبرها ثالثة المدن في القدم (٤٤٦/٤) .

ويقول الدينوري ان زابي « ابتنى المدينة العتيقة وسماها طيسفون » (الاخبار الطوال) ص ١١ .

« وان الاسكندر وافى العراق فنزل المدينة العتيقة التي تسمى طيسفون » (ص٣٨-٤٣) .

ويذكر ياقوت طسوج المدينة العتيقة التيفيها منزل كسرى والقصر الابيض » (٩٨٢/٢) .

ويذكر ياقوت طوج المدينة العتيقة التي فيها الايوان » (٢٢٨/٣) وهو يذكر انهيربطها ببهرسير جسر (٤٠/٢ ، ٥٧ ، ٩٨٢) وقد مر بها المستورد الخارجي (٤٠/٢ ، ٥٧) .

وتذكر المدينة العتيقة في كثير من المصادر باعتبارها طسوجا مقرونة بالجازر مما يدل على قربهما من بعضهما (انظر مثلا الصابي ص ٧٦) وكان منتوجهما في القرن الثالث الهجري الف كر من الحنطة والف وخمسمائة كر من الشعير ، ومائتين واربعين الفا من الورق (خرداذبه ١٢ قدامه ٢٣٨) والجازر « قرية من نواحي النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن ، وهي قصبة طسوج الجازر » (ياقوت ٧/٢) وعندها قنطرةتسمى قنطرة جازر (الدينوري ٥٠) .

طيسفون :

لقد ذكرنا ان الدينوري يقول ان زابى ابتنى المدينة العتيقة وسماها طيسفون ، وان الاسكندر وافى العراق فنزل المدينة العتيقة التي تسمى طيسفون (١١ ، ٣٨) فطيسفون في رأيه هي المدينة العتيقة .

اما حمزة فيقول ان « اسم المدائن بالفارسية توسفون وعربوه على الطيسفون والطيسفونج (ياقوت ٤٤٦/٤ ، ٥٧٠/٣ القزويني ٤٥٢) غير ان حمزة يذكر ان جمشيد « هو الذياختط مدينة طيسبون وهي أكبر المدائن السبع » (تاريخ سنى

ملوك الارض ٣٣) .

وينقل ياقوت « طيسفون هي مدينة كسرى التي فيها الايوان بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ » (٣/٥٧٠) ويذكر الطبرى ان « مدينة طهسبون وهي المدينة التي في شرقي المدائن (١/٨١٩) وان فيها قصر المملكة وقد أمر سابور ذو الاكتاف بنصب جسرين فيها (١/٨٣٧) وكانت محلته وفيها بيوت امواله وخزائنـــه (١/٨٤٢) وبها دار المملكـــه (١/٨٦٥) وكانت هي وبه اردشير مدينتي الملك (طبري ١/٨٥٨ ، ٨٧٨) . ويتضح من هـــذه النصوص ان طيسفون تقع شرقي دجلة .

غير ان المسعودي يذكر عند الكلام عن سابور ذي الاكتاف « وقد كان من قبلـــه من ملـــوك الساسانية وكثير ممن سلف من فارسى الاولى يسكن طيسبون وذلك بغربي المدائن من أرض العراق ، فسكن سابور في الجانب الشرقي من المدائن وبنى هناك الايوان » (مروج ١/٢٥٩) وقد ينسجم مع هذه الرواية قول الدينوري ان الاسكندر لما وافى العراق نزل المدينة العتيقة التي تسمى طيسفون (٣٨) وان اردشير نزل بها (٤٦) وهاتان الروايتان اما ان تكونان مغلوطتين أو انهما تعكسان صورة قديمة جدا كان النهر في عهدها يجري غربي مجراه الحالي ، ثم تبدل مجرى النهر فصارت هذه المنطقة تقع غربي دجلة ، ومن الواضح ان هاتين الروايتين تخلطـان بين طيسفون وسلوقيه التي اتخذهـــا السلوقيون واوائل الساسانيين مقرا لهم ثم اختفى ذكرها من المصادر العربية .

غـير ان نصوصـــا تذكر طيسفون مقـابل النعمانية : فيذكر الدينوري ان انوشروان « كور بجوخى كورة خسروماه وجعل لها ستة طساسيج: طسوج طيسفون وهي المدائن ، وطيسفون قرية على دجلة اسفل من قباب حميد بثلاثة فراسخ . ويقال لها بالنبطية طيسفونج ، وطسوج جـــازر وطسوج كلو اذى ، وطسوج نهر بوق ، وطسوج جلولاء ، وطسوج نهر الملك » الاخبار الطوال ٧٥) . ويقول الخطيب عند كلامه عن ترجمة ابن رزقويه « وسكن قرية يقال لها طيسفونج على دجلة من الجانب الشرقي حذاء النعمانية (١٠/١٤٥) ويقول ياقوت « طسفونج قرية كبيرة في شرقي دجلـــة مقابل النعمانية بين بغداد وواسط وبها آثار خراب قديم » (٣/٥٣٧) . ونظرا لكون الخطيب وياقوت مطلعين على احوال المنطقة الجغرافية ، فلا يمكن تصور خطئهما ، ولابد ان كان في زمانهما قريـة تدعى طيسفونج قرب النعمانية وقرب قباب حميد ، وينبغي الا تخلط هذه مع طيسفون التي هي من المدائن .

ويذكر الطبري انه لما تقدم اردشير بـن وشيرويه عمد ذرجشنس « فحص سور مدينـة طيسبون وابوابها » (١/١٠٦٢) .

اسبانبر

لقد ذكرنا ان اليعقوبي ذكر ان المدينة العتيقة فيها القصر الابيض والمسجد الجامع وانـه « في الجانب الشرقي أيضا المدينة التي يقال لها اسبانبر وفيهـا ايوان كسرى العظيم الذي ليس للفرس مثله ارتفاع سمكه ثمانون ذراعـا وبين المدينتين مقدار ميل ، وفي هذه المدينة كـان ينزل سلمان الفارسي وحذيفـة بن اليمـان وبهـا قبراهما » (٣٢١) .

ويقـــول الخطيب •• ان « المـــدائن على جانبي دجلة شرقا وغربا ، ودجلة تشق بينهما وتسمى المدينة الشرقية العتيقة ، وفيها القصـــر الابيض القديم الذي لا يدري من بناه ، ويتصل بها المدينة التي كانت الملوك تنزلها وفيها الايوان ، وتعرف باسبانبر » (١/١٢٨) ، ويقول المقدسي انه « في نحو الشرق من المدائن اسبانبر وثم قبر سلمان وايوان كسرى » (احسن التقاسيم ١٢٢) اما ياقوت فيذكر ان اسبانبر « هو اسم اجل مدائن كسرى واعظمها وهي التي فيها ايوان كسرى الباقي بعضها الى الان (١/٢٣٧) •

ويذكر حمزة الاصبهاني ان من المكونـــات السبع للمدائن هي اسفابور •• « فعرب اسفابور على اسفانبر» (ياقوت٤/٤٤٦) ويكرر ياقوت القول انها « أحدى السبع التي سميت بها مدائن كسرى بالعراق المدائن » (١/٢٤٦) وهو يذكر ان « أصلها اسبابور فعربت على اسبانبر (١/٢٤٦) وهو يسميها اسبانبر (١/٢٣٧ ، ٢٤٦) واسفانبر (١/٢٤٦) •

الايوان :

لقد ورد فيما ذكرناه عن اسبانبر ان اليعقوبي (٣٢١) والخطيب (١/١٢٨) والمقـدسي (١٢٢) وياقوت (١/٢٣٧) يذكرون ان اسبامبر فيها ايوان كسرى •

غير ان ياقوت يذكر في مكان آخر « المدينة العتيقة التي فيها الايوان» (٣/٢٢٨) و «طيسفون التي فيها الايوان » (٣/٥٧٠) ولما كانت طيسفون والمدينة العتيقة كان اسمها اكثر شيوعا من اسبانبر في العصر الاسلامي ، فالراجح ان الايوان كـان باسبانبر ، وان الروايات الاخرى التي وصفته في **المدينة العتيقة أو طيسفون غير دقيقة في التعبير •**

لقد جلب الايوان انـــذي لا يزال قائما ، انظار الناس حتى الان ، فقد وصفه البحتري في قصيدته السينية المشهورة حيث قال :

وكأن الايوان من عجب الصنـــ
ـعة جوب في جنب ارعن جلـس
لم يعب ان بز من بســط الديبـ
ـاج واستل من ســتور الدمقس
مشمخر تعلـــو لـــه شرفـــات
رفعت في رؤوس رضوى وقدس

ويذكر ابن الفقيه الهمداني انه من العجائب (البلدان ٥١) وهو يذكر « وقالوا ما بناء بالجص والآجر ابهى من ايوان كسرى بالمدائن » (٢١٢ ، ٢٦٧) • ويقول الثعالبي ان « ايوان كسرى يضرب به المثل للبنيان الرفيع العجيب الصنعـة المتناهي الحصانة والوثاقة ، لانه من عجائب ابنية الدنيـا ومن احسن اثار الملوك » ثم يضيف على وصفـــه « ان طوله مائة ذراع في خمسين ذراعا في سمك مائة ذراع ، وهو متخذ من الآجر الكبار والجص وثخن الازج خمس اجرات ، وطول الشرفـــة خمسة عشر ذراعا » (ثمار القلوب ١٨٠–١٨١) •

اما بانيه فيذكر ابن قتيبة ان بانيه سابور ذي الاكتاف (المعارف ٦٥٩ ثمار القلوب ١٨٠) ويذكر المسعودي ان سابور ذي الاكتاف « بنى الايـوان المعروف بايوان كسرى الى هذه الغاية ، وقد كان ابرويز بن هرمز اتم مواضع من بناء هذا الايوان» (مروج ١/٢٥٩ ط القاهرة) ويقول الثعالبي بناه كسرى ابرويز في نيف وعشرين سنة •• ويقال بل بناه انوشروان » (١٨١) ويذكر ياقوت « زعموا

انه تعاون على بنائه عدة ملوك » (١/٤٢٥) ٠

وقد نزله سعد بن ابي وقاص بعد فتح المدائن (طبرى ١/٤٤١ ، ٢٤٤٤) ٠

الابيض :

الابيض من الابنية البارزة التي يتردد ذكرها في المصادر ويربطه بعضهم بالايوان فيقول ياقوت « القصر الابيض الذي لم يبق منه الان بالمدائن سوى الايوان » (١/٨٠٩ انظر ايضا القزويني : اخبار البلاد ص ٤٥٣ ط صادر) ٠ كما ان قصيدة البحتري السينية توحي ، وان لم تجزم ان الايوان من الابيض حيث يقول ٠

حضرت رحلي الهمـــوم فوجـ
ـهت الى ابيض المدائـــن عنسى
وكأن الايوان من عجب الصنـــ
ـعة جوب في جنب ارعن جلس

غير ان كلا من اليعقوبي والخطيب يميز بينهما ويضع كلا منهما في مدينة حيث يقول « المدينة الشرقية العتيقة وفيها القصر الابيض القديم الذي لا يدري من بناه ، ويتصل بها المدينة التي كانت الملوك تنزلها وفيهـا الايوان وتعـرف باسبانبر » (اليعقوبي ٣٢١ الخطيب (١/١٢٨) وقـــد يؤثر قولهما ما سنذكره عن هدم الابيض من أساساته في حين ان الايوان لا يزال قائما ٠

لقد تردد ذكر الابيض في المصادر العربية ، فيذكر الطبري ان العرب « لما نزلوا بهرسير لاح لهم ابيض كسرى » (١/٢٤٣١) وقد تحصن فيه الساسانيون عند تقدم العرب لفتح المدائن (١/٢٤٣٥، ٢٤٤٠) ٠ فلما تم فتحها « نزل سعد القصـــر الابيض واتخذ الايوان مصلى ، وان فيه تماثيـل جص » (١/٢٤٤١) ٠

ولمـا طعن الحسن بن الامام علي في مظلم ساباط « حمل الى ابيض المدائن » (٢/٥٢٠) ٠ (ويذكر الطبري في مكان آخر ان الحسن انزل المقصورة البيضاء بالمدائن (٢/٢) وهو تعبير غـير دقيق ٠ ولما اتصل بعض انصار مصعب بن الزبير سراً بعبدالملك ، نصحه أصحابه « ان تأخذ وجوه الناس .. فاجمعهم في ابيض المدائن لئلا يشهدوا الحرب معك » (انساب الاشراف ٥/٣٣٧ ، ٣٤١)٠

ولما هرب سفيان والي البصرة الاموي عند تقدم العباسيين الى العراق ، جاء « هو وأهل بيته حتى اتى القصر الابيض ، فنزلوه ثم ارتحلوا منه الى كسكر » (طبري ٣/٢٢) ، كما نزله الحارث بن العباس (٢/١٨٣٨) ٠

ويروى الطبري ان المنصور استشار خالد البرمكي وقال له « ما ترى في نقض بناء مدينـــة ايوان كسرى بالمدائن وحمل نقضه الى مدينتي » فاشار خالد بعدم الهدم ، ولكن المنصور « امر ان ينقض القصر الابيض » فنقضت ناحية منه وحمل نقضه » غير ان كلفة الهدم والنقل كانت كبيرة ، فوقف المنصور عن الاستمرار (٣/٣٢٠) ٠ ولكن يبدو ان الناس اخذت تقوم بالهدم مما ادى في سنة ١٥٨هـ الى ان « أمر المنصور بمـرمة القصـر الابيض الذي كان كسرى بناه ، وامر ان يغرم كل من وجـد في داره شيء من الآجر الخسرواني مما نقضه من بناء الاكاسرة ، وقال هذا فيء المسلمين فلم يتم ذلك ولا ما امر به من منعة القصـر » (٣/٣٨٥) ٠

ويذكر مؤلف كتاب العيون والحدائق ان المنصور عندما كان يبني بغداد « أمر بنقض القصر الابيض فنقض منه ، غير انه وجد كلفة النقض اغلى فتوقف عن ذلك » (العيون والحدائق ص ٢٥٦). غير ان المسعودي ينسب محاولة هدم الايوان الى الرشيد (مروج ١/٢٥٩) ولعل روايته غير دقيقة لان الاحوال تجعل نسبة محاولة الهدم للمنصور اقرب .

يذكر ياقوت « والابيض قصر الاكاسرة بالمدائن كان من عجائب الدنيا ، لم يزل قائما الى ايام المكتفي في حدود سنة ٢٩٠هـ فانه نقض وبنى بشرافاته اساس التاج الذى بدار الخلافة ، وباساسه شرفاته كما ذكرناه في التاج ، فعجب الناس من هذا الانقلاب » (١/١٠٩) .

ويقول ايضا انه لما تولى المكتفى سنة ٢٨٩هـ « فاتم عمارة التاج الذي كان المعتضد وضع اساسه بما نقضه من القصر المعروف بالكامل ومن القصر الابيض الكسروي الذي لم يبق منه الان بالمدائن سوى الايوان ، ورد امر بناءه الى ابي عبدالله النقرى، وامره بنقض ما بقى من قصر كسرى ، فكان الاجر ينقض من شرف قصر كسرى وحيطانه فيوضع في مسناة التاج وهي طاعنة الى وسط دجلة وفي قرارها ، ثم حمل ما كان في اساسات قصور كسرى فبنى به اعالي التاج وشرفاته » (١/٨٠٩) . ويبدو ان القزويني قد اعتمد ياقوت حيث يقول « وكان للاكاسرة هناك قصر اسمه الابيض كان باقيا الى زمن المكتفى في حدود سنة ٢٩٠هـ ، فامر بنقضه وبناء التاج الذي بدار الخلافة ببغداد وتركوا منه الايوان المعروف بأيوان كسرى » (٤٥٣) .

وكان عند ابيض المدائن بناء اسمه جرماز « ثم عفا اثره ، وكان عظيما » (ياقوت ٢/٦٤) .

الرومية (جنديوخسرو)

يقول حمزة ان احدى المكونات السبع للمدائن هي وهجنديوخسرو « وعرب وه جنديوخسره على رومية » (ياقوت ٤/٤٤٦-٧) . ويذكر ياقوت ان من المدائن الرومية (٤/٤٤٦) ، ويقول في مكان آخر : جنديوخسرو ، ويقال وهجنديوخسره اسم احدى مدائن كسرى السبع ، وهي المسماة رومية المدائن ، بنيت على مثال انطاكية ، وبها قتل المنصور ابا مسلم » (٢/١٣٠) .

ويقول حمزة الاصبهاني ان انوشروان بنى « عدة مدن منها مدينة دخلت في عداد مدن المدائن السبع وسماها به ازانديو خسرو ، وهي المسماة رومية المدائن ومعنى ازانديو - اي خير من انطاكية » (تاريخ سنى ملوك الارض ٥١) .

ويذكر الطبري ان انوشروان بعد ان فتح انطاكية « امر ان يصور له مدينة انطاكية على ذرعها وعدد منازلها وطرقها وجميع ما فيها ، وان يبني له على صورتها مدينة الى جنب المدائن ، فبنيت المدينة المعروفة بالرومية على صورة انطاكية حتى اسكنهم اياها ، فلما دخلوا باب المدينة دخل اهل كل بيت منهم الى مايشبه منازلهم التي كانوا فيها بانطاكية ، كأنهم لم يخرجوا منها » (طبري ١/٨٩٨) .

وينقل ابن الفقيه الهمداني عن المدائني ما يشبه هذا الكلام حيث يقول ان انوشروان بعد فتح بلاد الشام « استحسن انطاكية وبناءها ، فلما انصرف الى العراق بنى مدينة على مثال انطاكية

باسواقها وشوارعها ودورها وسماها زندخسره ، وهي التي تسميها العرب رومية ، وامره ان يدخل اليها سبى انطاكية ، فلما دخلوها لم ينكروا من منازلهم شيئاً ، فانطلق كل رجل منهم الى منزله ، الا اسكافاً كان على بابه بانطاكية شجرة فرصاد فلم يرها على بابه برومية ، فتحير ساعة ثم اقتحم الدار فوجدها مثل داره » (مختصر كتاب البلدان ١١٥-١١٦) •

ويذكر الدينوري ان انوشروان سير أهل انطاكية الى العراق « وأمر فبنيت لهم مدينة الى جنب طيسفون على بناء مدينة انطاكية بازقتها وشوارعها ودورها ، لا يغادر منها شيأ ، وسماها زبر (كذا ولعل الصحيح زند) خسرو ، وهي المدينة التي الى جانب المدائن تسمى الرومية • (الاخبار الطوال ص ٦٩) •

ويقول المسعودي ان انوشروان بعد ان فتح انطاكيه « نقل من الشام المرمر والرخام وانواع الفسيفساء والاحجار ، والفسيفساء هي شيء يطبخ من الزجاج والاحجار ـ ذو بهجة والوان يدخل فيما فرش من الارض والبنيان كالفصوص ومنه على هيئة الجامات شاف ، وحمل ذلك الى العراق ، فبنى مدينة نحو المدائن وسماها برومية ، وجعل بنيانها وما داخل سورها بما ذكرنا من انواع الاحجار ، يحكى بذلك انطاكية وغيرها من المدن في الشام » (مروج ١/٢٦٥ طبعة مصر) •

لاشك ان ادعاء الطبري والمدائني والدينوري بان الرومية تطابق انطاكية في الحجم وما يتبع ذلك هو مبالغة وغير صحيحة ، ولكنها قد تستند الى ظل من حقيقة كون تخطيط الرومية جرى على نسق تخطيط انطاكية التي كانت ذات شوارع مستقيمة متقاطعة (انظر في ذلك كتاب انطاكية تأليف دوني وترجمة ابراهيم نصحي) •

أما موقعها ، فان الطبري والدينوري يذكران فيما اوردناه عنها اعلاه انها الى جنب المدائن ، ويقول الطبري أيضا ان انوشروان « سبى أهل مدينة انطاكية ونقلهم الى ارض السواد ، وأمر فبنيت لهم مدينة الى جنب مدينة طيسبون على بناء مدينة انطاكية على ما قد ذكرت من قبل ، واسكنهم اياهـا ، وهي التي تسمى الرومية » (١/٩٥٩ انظر أيضا الدينوري ص ٧٠) • وهذا يدل على انها كانت شرقي دجلة • ويقـول الطبري ان انوشروان « كور لها كورة وجعل لها خمسة طساسيج : طسوج نهروان الاعلى وطسوج نهروان الاوسط وطسوج نهروان الاسفل وطسوج بادرايا وطسوج باكسايا ، واجرى عـلى السبي الذين نقلهم من انطاكية الى الرومية الارزاق » (١/٩٥٩) ومن هذا الكلام يحدس المرء انها كانت جنوبي طيسفون •

ويذكـر اليعقـوبي والدينوري ما يوضـح موقعها ، فيقول اليعقوبي بعد كلامه عن المدينـة العتيقة واسبانبر « ثم تلى هاتين المدينتين مدينـة يقال لها الرومية التي يقال ان الروم بنتها لما غلبت على ملك فارس ، وبها كان أمير المؤمنين المنصور لما قتل ابا مسلم » (٣٢١) اما الدينوري فيذكر في كتـابه الاخبـار الطـوال ص ٣٧٩ « ولما بلغ المنصور اصلاح الشام كره المقام بمدينة ابي العباس التي بالانبار ، فسار بعسكره الى المدائن فنزل الى المدينة التي تدعى الرومية ،

وهي من الدائن على فرسخ ، وهي المدينة التي بناها كسرى انوشروان وانزلها السبى الذي سباه من بلاد الروم ، فاقام المنصور بتلك المدينة » .

ومما يدل على ان موقع الرومية شرقي دجلة وانها كانت باقية حتى أواخر القرن الثالث الهجري على الاقل ذكر الطبري لها عند الكلام عن طريق سير الموفق لقتال الزنج حيث يقول ان الموفق سار من الزعفرانية الى الفرك فرومية المدائن فالسيب فدير العاقول » (٣/١٩٦١) .

ويذكر المسعودي عن الرومية « وهذه المدينة سورها من طين قائم الى هذا الوقت خراب وباق يعرف بماذكرنا » (مروج ١/٢٦٥ طبعة القاهرة).

ويقول الخطيب ان الاسكندر نزل المدائن « وبنى بها مدينة عظيمة وجعل عليها سورا اثره باق الى وقتنا هذا ، وهي المدينة التي تسمى بالرومية في جانب دجلة الشرقي » (١/١٢٨) وهذا يؤيد كلام المسعودي في بقاء السور الى العهود الاسلامية المتأخرة وان كان يخطىء في نسبتها الى الاسكندر .

رومية الاسكندر ، الرومقان (سلوقية)

ينقل ياقوت عن كتاب تفضيل بغداد ليزدجرد بن مهبنداد « ان الاسكندر لما سار في الارض ، ودانت له الامم وبنى المدن العظام في المشرق والمغرب ، رجع الى المدائن وبنى فيها مدينة وسورها ، وهي الى هذا الوقت موجودة الاثر » واستنادا على هذا النص يعتبر ياقوت مدينة الاسكندرية هي ثانية المدائن في القدم بعد المدينة العتيقة (٤/٤٤٦) .

ويقول الخطيب عند كلامه عن المدائن « واما المدينة الغربية فتسمى بهرسير وكان الاسكندر اجل ملوك الارض بناها ، كما انه يذكر انه لما نزل المدائن « بنى بها مدينة عظيمة وجعل عليها سورا أثره باق الى وقتنا هذا ، وهي المدينة التي تسمى بالرومية في جانب دجلة الشرقي » (١/١٢٨) . ومن الواضح ان ادعاء الخطيب بناء الاسكندر بهرسير والرومية الشرقية لا تؤيده المصادر الاخرى ، ولكن هذه الرواية تردد قول يزدجرد ان الاسكندر بنى في المدائن مدينة ، وان السور الذي ذكره الخطيب قد يكون للمدينة الشرقية ، وبذلك يؤيد قول المسعودي ، أو للمدينة الغربية ، فيكون مؤيدا قول يزدجرد .

ومما يؤيد معرفة العرب لمدينة الرومية غربي دجلة ما ذكره البلاذري عند الكلام عن فتح المدائن حيث نقل عن ابن الكلبي ومشايخ الكوفيين « لما فرغ سعد بن ابي وقاص من وقعة القادسية وجه الى المدائن فصالح أهل الرومية وبهرسير ثم افتتح المدائن وأخذ اسبانبر وكردبنداد عنوة » (فتوح ٢٧٤) أي انه افتتح ما على غربي دجلة صلحا ، وما على شرقيها عنوة . ويقول أيضا نقلا عن عوانه وابي عبيدة ان سعد « ارسل خالد بن عرفطة ففتح ساباط ثم قدم فاقام على الرومية حتى صالح أهلها على ان يجلو من أحب منهم ويقيم من أقام على الطاعة .. ولم يجد معابر فدل على مخاضة عند قرية الصيادين فأخاضوها الخيل » (فتوح ٢٦٣) وواضح من هذا النص ان الرومية غربي دجلة .

لم تذكر المصادر الاخرى الرومية في غربي دجلة ، غير انها ذكرت الرومقان الذي يقرن في

اغلب المصادر مع بهرسير الواقعة غربي دجلة كما سنذكر • فيذكر الطبري ان اردشير عندما بنى بهرسير وكورها ، وضم اليها بهرسير والرومقان ونهر درقيط وكوثي ونهر جوبر واستعمل عليها عمالا ، (٨١٩/١) ويذكر البلاذري ان الخليفة علي بن أبي طـــالب بعث يزيـد بن ابي زيد الانصاري « على ما سقى الفرات فذكـر رساتيق وقرى ، فسـمى نهـر الملك وكوثى وبهرسـير والرومقان ونهر جوبر ونهر درقيط والبهقباذات » (٢٧١) •

وقد ذكر الصابي الرومقان مقرونة ببهرسير وايغار يقطين ، فقد ذكر ان « أحمد بن محمد ابن بسطام كان معاصرا لحامد بن العباس ومتقلدا بهرسير والرومقان وايغار يقطين في وزارة علي ابن العباس » (٤٩) و « كان أبو القاسم عبيد الله ابن سلمان قد قلد أبا عبدالله جعفر بن محمد بن الفرات اعمال بهرسير والرومقان وايغار يقطـين وما يجري في ذلك » (٢٢٥) ويقول أيضا « خرج ابراهيم بن عيسى وانفق على نهر الملك لمعالجـة انفجار البثق سبعمائة الف درهم ، وذهب من ارتفاع السلطان ببهرسير والرومقان وايغار يقطين اضعاف ذلك وكثرت البثوق والجبايات في نفقاتها والمضرة بحوادثها » (٢٨٠) كما ان ياقوت يذكر « يقال بهرسير الرومقان » (٧٦٨/١) •

ويتبين من هذه النصوص الصلة المكانية بين بهرسير والرومقان ، ولما كانت بهرسير هي من المدائن وفي غربي دجلة فلابد ان تكون الرومقان ايضا غربي دجلة • ويمكن ان يستنتج المرء من الاسـم انهـا هي الروميـة الغربيـة التي نسبت المصادر بناءها الى الاسكندر ، والراجح انها هي سلوقية المشهورة التي بناها السلوقيون واتخذوها عاصمة لهم ، وانها كانت في العصر الاسلامي خالية من السكان ولم يبق منها الا بعض اطلال سورها وكذلك اسمها •

بهرسير

لقد ذكرنا أعلاه عدة نصوص ورد فيها اسم بهرسير بجانب الرومقان• ويذكر حمزة الاصبهاني انها أحدى المدائن السبع ، وأصل اسمها بـــه اردشـــير فعربت على بهرسير (تاريخ سني ٤٣ ياقوت ٧٦٨/١ ، ٤٤٦/٤) •

يذكر حمزة (تـاريخ سني ٤٣) والطبري (٨١٩/١) ان اردشير هو الذي بناها ، ويذكـــر الخطيب ان الاسكندر بانيهـــا (١٢٨/١) ومن الواضـح ان كلام الخطيب لا تؤيـــده المصادر الاخرى ولا تدل عليه التسمية •

اما موقعها فيذكر الطبري ان اردشير « بنى على شاطىء دجلة قبالة مدينة طهسبون ، وهي المدينة التي في شرقي المدائن ، مدينة غربية وسماها به اردشير وكورها » (٨١٩/١) ويذكر حمزة ان « موضعها على غربي دجلة » (تاريخ سنى ٤٣) ويقول البلاذري ان « مدينة بهرسير وهي المدينة التي في شق الكوفة » (فتوح ٢٦٢) • ويقـــول ياقوت ان بهرسير تقع تجاه الايوان « وهي في غربي دجلة ، وقد خربت مدائن كسرى ولم يبق ما فيه من عمارة غيرها •• رأيتها غـير مرة » (٧٦٨/١) • كما يذكر الطبري انها « المدينـــة الدنيا » (٢٤٣١/١ ، ٢٢٣٢) اي الاقـــرب الى الكوفة •

يذكر الطبري ان « مدينة طيسبون ومدينة بهرسير وكانتا محلة الملوك »(١/٨٥٨ ، ٨٧٨) ، كما يذكر انه كان فيها قصر لكسرى ابرويز وبالقرب منه بستان يدعى باغ الهندوان » (١/١٠٤٣) .

ويذكر البلاذري ان العرب بعد وصولهم ساباط « اجتمعوا بمدينة بهرسير .. فاقاموا سبعة أشهر ، ويقال ثمانية عشر شهرا » (فتوح ٢٦٢) . والواقع ان سعد بن ابي وقاص لما تقدم لاحتلال المدائن اتجه أولا الى بهرسير (طبرى ١/٢٣٥٩ ، ٢٤٢٦ وكان يدافع عنها التخيرجان ومهران الرازي (طبري١/٢٤٢١) وقد حاصرها سعد ثم احتلها (طبري ١/٢٤٢٦ ، ٢٤٢٩) ، اما البلاذري فيذكر أن سعدا «صالح أهل الرومية وبهرسير » (٢٧٥) وقد ادى فتح العرب لها الى تدهور معنويات الفرس فنقل كسرى عياله الى حلوان (طبري ١/٢٤٤٢) .

وقد نزل بها في العصر الاموي المثنى بن مخربة عندما جاء للانضمام الى التوابين (طبري ٢/٥٦١ ، ٥٦٢) كما مر بها المستورد بن علفه قادما من الصراة (طبري ٢/٤٠) .

لقد كانت بهرسير مركز استان (طبري ١/٨١٩) الدينوري ١٦٣ ويذكر قدامه وابن خرداذبه ان رساتيقه عشرة ويبادره مائتان ومنتوجه من الحنطة الف وتسعمائة ومن الشعير الف وسبعمائة من الورق مائة وخمسين الفا (ابن خرداذبه ٧ قدامه ٢٣٧) .

ساباط

لم يذكر حمزة وياقوت والخطيب ساباط من ضمن مكونات المدائن ، غير ان قربها منهم وربط معظم الروايات ساباط بالمدائن يبرر لنا دراستها مع المدائن .

ان ساباط بناها بلاش (طبرى ١/٨٨٠ . حمزة تاريخ سنى ٥٠ ياقوت ٣/٣) وقد حبس كسرى ابرويز النعمان بن المنذر في ساباط (المعارف ٦٥٠ طبعة عكاشة) وكانت عند الفتح الاسلامي محصنة وفيها حصن (طبري ١/٢١٩٩) .

وفي ساباط عسكر رستم قبيل تحركه الى القادسية (طبري ١/٢٢٣٥، ٢٢٤٨، ٢٢٤٨-٩ ، ٢٢٥١ ، ٢٢٥٣ ، ٢٢٥٧ ، ٢٢٨٧) كما انالعرب عندما تقدموا لفتح المدائن كانت ساباط أول ما واجهوه ، وكان عليها شيرزاد الذي يسميه الطبري دهقان ساباط (١/٢٤٢٦) وصاحب ساباط (١/٢٠٥٩) وقد عقد شيرزاد صلحا مع العرب فلم تبد ساباط مقاومة (١/٢٤٢٥) .

كانت ساباط قرب نهر الملك اذ ان « جسر ساباط هو جسر نهر الملك وهو من جانبه الذي يلي الكوفة » (طبري ٢/٥٨) ولعل هذا الجسر هو القنطرة التي يذكر الطبري ان زيد بن عدى لقى عندها النعمان بن المنذر وحذره من غدر كسرى (١/١٠٢١) ، ولعلها هي أيضا القنطرة التي لقى فيها جان رستم (طبري ١/٢٢٥٣) .

وفي غربي ساباط يقع دير كعب « ويقال هولاياد » (فتوح ٢٨٣ وقد مر به سعد بن ابي وقاص الى ساباط عندما سار لاحتلال المدائن (فتوح ٢٦٢) كما ان الامام علي عندما سار من بابل لقتال اهل النهروان « سار حتى انتهى الى دير كعب فجاوزه واتى ساباط المدائن فنزل فيه

بالناس » (الدينوري ١٧٧) •

غير ان اشهر ما في ساباط هو مظلم ساباط (طبري ١/٢٤٦٠ ياقوت ٤/٥٦٩) •

ويقول ياقوت انه لايعرف لم سمي بهذا الاسم (٤/٥٦٩) •

ولما استسلمت ساباط للعرب « انتهى هاشم (بن عتبة) الى مظلم ساباط » (طبرى ١/٢٤٢٥) ثم « نزل سعد مظلم ساباط ثم ارتحل الى بهرسير» (طبري١/٢٤٢٦) •

وفي مظلم ساباط اقام الحسن بن علي بعد مبايعته بالخلافة ومجيئه الى المدائن ، ثم طعن فيه (طبرى ٢/٥٢٠ انســاب الاشــراف ٥/٢١٤) الدينوري ٢٣١ المحبر ١٩ •

ان المواقع التي بين ساباط والمدائن يوضحها النص الذي ذكره ابو مخنف عن حصيره بن عبدالله حيث قال « لما رأينا المستورد بن علفه وقد نزلنا به ساباط اقبل الى الجسر فقطعه ، كنا نظن انه يريد ان يعبر الينا ، قال فارتفعنا عن مظلــم ساباط الى الصحــراء التي بين المدائن وساباط فتعبأنا وتهيأنا » (طبري ٢/٦١) ويتبين من هذا ان الاماكن تتابع كما يلي : ساباط ـ مظلم ساباط ـ صحراء ـ المدائن •

يقول اليعقوبي ان ساباط المدائن على فرسخ من بهرسير (٣٢١) •

ويقول السمعاني ان ساباط تقع على فرسخين من المدائن » (اللباب ١/٥٩١) ويذكر سهراب ان نهر الملك يصب اسفل المدائن بثلاثة فراسـخ من الجانب الغربي (ص٨٤) أي أن ساباط تبعد عن مصب نهر الملك بفرسخ •

درزيجان

لقد اعتبر حمزة درزيجان من المدائن السبع (ياقوت ٤/٤٤٦) وهو يقــول «كانت درزيجان احدى المدن السبع التي كانت للاكاسرة وبهــا سميت المـدائن مدائن ، واصلهــا درزينـدان فعربت على درزيجان » (ياقوت ٢/٥٦٧) •

ويقول المقدسى ان بغداد من مدنها «كلواذى، درزيجان ، المدائن ، كيل » (١١٥) ويقول ياقوت ان درزيجان « قرية كبيرة تحت بغداد ، على دجلة بالجانب الغربي كان منها والد ابي بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي ، كان ابوه يخطب بهــا ورأيتها انا » (٢/٥٦٧) •

يذكر الطبري ان طاهر بن الحسين لما تقدم من الاهواز لمحاصرة بغداد نزل المدائن وقدم منها قريش بن شبيل والعبـاس بن بخارا خـداه الى الدرزيجان ، وأحمد بن سعيد الحرشى ونصر بن منصور بن مالك معسكران بنهر ديالى ، فمنعـا أصحاب البرمكي من الجواز الى بغداد ، وتقدم طاهر حتى صار الى الدرزيجان حيال أحمــد ونصر بن منصور ، فسير اليهما الرجال ، فلـم يجر بينهما كثير قتال حتى انهزموا واخذ طاهر ذات اليسار الى نهر صرصر فعقد بها جســرا ونزلها » (٣/٨٥٩) وواضح من هذا ان درزيجان قرب صرصر •

اماكن قرب المدائن

(١) عتيق الساجة

وهي قرية تقـع بين درزيجان وبغــداد « استولت عليها دجلة فخربتها واسم الموضــع معروف الى الآن » (ياقوت ٣/٦١٣) •

(٢) نديران

يقع بالقرب من بهرسير « من جهة الجنوب زريران ومن جهة الغرب صرصر » (ياقوت ٧٦٨/١) وزريران هذه « قرية بينها وبين بغداد سبعة فراسخ على جادة الحاج اذا أرادوا مكة من بغداد ، بها قبر الشيخ الصالح الزاهد علي بن أبي نصر الهيتي وعليه قبة عالية تزار وينذر لها ، ولها الكرامات ، وكانت وفاته في جمادى الاولى سنة ٥٦٤ » (٩٢٩/٢) •

(٣) جيل

الجيل قرية « تحت المدائن بعد زريران يسمونها الكيل » (ياقوت ١٨٠/٢) ويقال ياقوت انها قرية كبيرة تحت المدائن نحو أربعة فراسخ » (١٠/٢) اما مسكويه فيذكر ان « كيل اسفل المدائن بفرسخين » (٣٣٠/٢) وفيها دحر ناصر الدولة الحمداني البريدي (تكملة تاريخ الطبري ١٢٩) ويقول الاصطخري ان نهر الملك يصب عند « ضيعة تسمى الكيل » (٨٤) •

(٤) ديلمايا

« وهي قرية من قرى استان بهرسير الى جانب دجلة كانت لقدامه بن العجلان الازدى •• تبعد ثلاث فراسخ او نحو ذلك عن ساباط » (طبري ٥٧/٢) •

(٥) خندق

قرية يذكر الطبري انها من قرى بهرسير في زمن أبرويز (١٠٤٩/١) •

(٦) دير المسلاخ

يقول الطبري ان العرب عندما تقدموا من القادسية لاحتلال المدائن وصلوا الى كوتي ، وكانت للفرس مسلحة في دير المسلاخ مما يدل على ان دير المسلاخ بين كوتي وساباط •

ولاة المدائن في الاسلام

لقد ورد ذكر الاسماء التالية ولاة للمدائن :

١ ـ شرحبيل بن السمط (ولاه سعد بن ابي وقاص ـ طبري ٢٣٦١/١) •

٢ ـ سلمان الفارسي (ولاه عثمان) (البدء والتاريخ ١١٠/٥) •

٣ ـ عروه بن زيد الخيل (ولاه الاشتر عندما ثار على عثمان) (انساب ٤٥/٥) •

٤ ـ عبدالله بن خباب بن الارث (للامام علي) (البدء والتاريخ ١٣٦/٥) •

٥ ـ سعد بن مسعود الثقفي (للامام علي والحسن) (طبري ٢/٢)

(استخلف ابن أخيه المختار ـ طبري ١/ ٣٣٦٦ ، ٣٣٧٢)

٦ ـ سماك بن عبيد (زمن معاوية) (طبري ٣٩/٢)

٧ ـ اسحق بن مسعود (للمختار) (طبري ٦٣٥/٢)

٨ ـ كردم بن مرثد بن نجبة الفزاري (للمصعب) (طبري ٧٥٥/٢)

٩ ـ يزيد بن الحـــارث بن رويم الشـــيباني (للمصعب) (طبرى ٢/٧٧٥)

١٠ـ عبـــدالله بن أبي عصـــيفير (للحجاج) (طبري٢/٨٩٩/٩٢٩ انساب ١٩٢/٥)

١١ـ عثمان بن قطن (للحجاج) (طبرى ٢/ ٩٢٩)

١٢ـ مطرف بن المغـــيره (للحجاج) (طبري ٢/٩٤٢ ، ٩٨٠ ، ٩٨٢)

قضاة المدائن

• تشمل القائمة التالية ما استطعت جمعه من اسماء قضاة المدائن مرتبة ، تبعا لتعاقبهم بقدر الامكان ، وهي قائمة غير كاملة ، ولكنها تكفي لبيان استمرار احتفاظ المدائن باهميتها •

١ ـ سلمان بن ربيعة الباهلي ، ولاه عمر بن الخطاب قضاء المدائن ، (الخطيب ٩/٢٠٦) •

٢ ـ سعد بن حذيفة بن اليمان (الخطيب ٩/١٢٣) •

٣ ـ عاصم بن سليمان الاحول ، ولى القضاء بالمدائن في خلافة المنصور ، (الخطيب ١٢/٢٤٣) •وكيع : اخبار القضاة ٣/٣٠٤) •

٤ ـ يحي بن زكريا بن ابي زائـــدة ، توفى بالمدائن وهو قاضيهـــا سنة ١٨٣ ، (ابن سعد ٦/٢٧٤ الخطيب ١٣/١١٦) •

٥ ـ حماد بن دليل ، كان قاضى المدائن أيام هارون ، (وكيـع ٣/٢٧٧ ، ٣٠٤ انظر ايضا الدولابي : الكنى ١/١٨٠ الخطيب ٨/١٥١ المنتظم ٨/١١٩) •

٦ ـ اسحق بن الربيع بن نوح مولى بنى ضبة ، قاضى المدائن ، (الخطيب٦/٣٢٤)•

٧ ـ أبي هشام محمد بن يزيد بن رفاعة الرفاعيت٢٤٨ ، ولى قضاء المدائن وبغداد بعد موت ابي حسان الزيادي (الخطيب ٣/٣٧٦) •

٨ ـ ، في سنة ٢٦٢ جمعت بغداد بأسرها لاسماعيل بن اسحق ، وصرف البرتي ، وقلد المدائن والنهروان وقطعه من اعمال السواد ، (المنتظم ٥/١٥٢) •

٩ ـ اسماعيل بن محمد بن ابي كثير الغسوي ت٢٨٢ (الخطيب ٦/٢٨٣ ، ٣٠٢ المنتظم ٥/١٥٣) •

١٠ـ ابو نصر وابو محمد ابني القاضى محمد بن عمرو ، لما توفى ابوهما خلـــع الراضي عليهما ••••••• ، فجعل الى أبي نصر قضاء بغـداد الى المدائن ،

وولى ابا محمد القضاء من المدائن الى البصرة » (الصولى : اخبار الراضى والمتقى ص ١٤٢ •

١١ـ محمد بن عبدوس قاضى المدائن ت ٣٨٣ (الخطيب ٢/٣٨١) •

١٢ـ احمد بن محمد الهاشمي (٣١٥ـ٣٩٠) « تقلد قضاء المدائن وسر من رأى ونصيبين وديار ربيعة وغيره من البلاد (الخطيب ٥/٦٥ المنتظم ٧/٢٠٩) •

١٣ـ على ابن المحسن التنوخي ت٤٤٧ « تقلد قضاء نواح عدة ، منها المدائن واعمالها ودرزنجان والبردان وقرميسين (الخطيب ١٢/١١٥ المنتظم ٨/١٦٨) •

١٤ـ الحسين بن علي الصميري « ولى قضاء المدائن في أول أمره ، ثم ولى باخرة القضاء بربع الكوفة » (الخطيب ٨/٧٨) •

١٥ـ عمر بن يزيد ابو حفص الازدي (من اهل المدائن تولى القضاء بها) (الخطيب ١١/١٨٤) •

١٦ـ١٧ـ « محمد بن المبارك بن محمد بن محمد الخطيب ، ابو المعالى ، قاضى المدائن ، ابن القاضى بها •• عزل ابو المنصور نفسه عن القضاء عن كره ، وولى ابنه ابو المعالي ، ذكره القاضى ابو المحاسن » ت٥٨٢ (الدبيثي ٣/١٤١)•

١٨ـ عبدالحميد بن محمد بن المبارك « من اهل المدائن وقاضيها » ت٥٩٨ (الديثى ٢/١٦٨) •

١٩ـ٢٠ـ عبداللطيف بن هبة الله بن محمد بن محمد بن ابي الحديد « من اهل المدائن وهو ابن القاضى ابي الحسين قاضى المدائن » ت٦٠١ (الدبيثي ١/١٦١)•

٢١ـ أحمد بن محمد بن على أبو طالب (الدبيثي ٣/٢٢١) •